الفصل الثامن

جناس القلب

(١) جناس فيه قلب كل الحروف.

(٢) جناس فيه قلب بعض الحروف:

(أ) بين أسماء مفردة.

(ب) بين مثنى ومثنى.

(جـ) بين جمع وجمع.

(د) بين فعل وفَعل.

(٣) جناس مقلوب مزدوج.

جناس القلب

إذا اختلف المتجانسان فى ترتيب الحروف، سمى جناس القلب، وهو ضربان:

أحدهما – قلب كل الحروف كقول العباس بن الأحنف:

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف

والثانى – قلب بعضها كما جاء فى الخبر «اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا»[1].

قلب كل الحروف فى أساس البلاغة:

هذا الضرب لم أجد منه إلا مثالا واحدا – حسب جهدى – بين كلمتى (نبت) و(تبن) فى قوله: «وكان نبتا فصار تبنا»[2] والتبن عصيفة الزرع من البر ونحوه[3] والقلب بينهما واضح.

جناس فيه قلب بعض الحروف:

وقد وجدت من هذا الضرب نماذج متعددة، بين أسماء مفردة، وأسماء مثناة، وأسماء مجموعة، وأفعال.

أولا: ما جاء بين أسماء مفردة:

من ذلك ما ذكره من المجانسة بين (تبوك) اسم المدينة المشهورة، و(بتوك) أى قاطع فقد قال: «... بتك الحبل، وسيف باتك وبتوك، وخرج إلى تبوك. ومعه سيف بتوك»[4] وبتوك من بتكه بتكا أى قطعه[5] فهو سيف قاطع.

وغير خاف أن قلب بعض الحروف يتمثل فى تقدم التاء على الباء فى (تبوك) وتقدم الباء عليها فى (بتوك).

---

(١) الإيضاح / ٨٤ (مع البغية) والمطول ٤٤٨.

(٢) أساس البلاغة (تبن).

(٣) لسان العرب ١ / ٤١٩ (تبن).

(٤) أساس البلاغة (بتك).

(٥) المعجم الوجيز (بتك).

ومن قلب بعض الحروف أيضاً ما ذكره من الجناس بين (رابعة) اسم امرأة و(بارعة) صفة لها، فقد قال: « وكانت رابعة امرأة بارعة »[١].

ومعنى (بارعة) كما يلوّح كلام صاحب لسان العرب أنها قد فاقت أترابها فى الجمال، وذلك فى قوله: « بَرَع يبرُع برُوعة وبَراعة، وبَرَعِ فهو بارع تَمّ فى كل فضيلة وجمال، وفاق أصحابه فى العلم وغيره، وقد توصف به المرأة »[٢].

ومن هذا الضرب أيضاً ما ذكره من الجناس بين (الرحيق) وهو الخالص من الخمر، و(الحريق) أى التعذيب بالنار، فقد قال: « سقاه الرحيق، وهو الخالص من الخمر، وتقول يا شارب الرحيق أبشر بعذاب الحريق »[٣] وفى هذه العبارة إيعاد لمن يشرب الخمر بعذاب النار، وبئس المصير، وفيها -كما لا يخفى - تهكم بشارب الخمر كما ينبىء الفعل (أبشر) فإن فيه استعارة تهكمية.

ومن ذلك ما ذكره من التجنيس بين (الرافغ) أى الواسع، و(الفارغ) يقصد الخالى من الهموم - كما يومىء السياق، فقد قال: « وتقول اللهم إنى أسالك العيش الرافغ، والبال الفارغ »[٤] والعيش الرافغ الواسع، جاء فى لسان العرب: « والرفغ، والرفاغة، والرفاغية، سعة العيش والخصب والسعة »[٥] وكان هذا الداعى يقول اللهم إنى أسالك العيش الرغد، والبال الخالى من الهموم والمنغصات.

ومن هذا القبيل ما ذكره من المجانسة بين (حنيفا) و(نحيفا) فى قوله: « رجل نحيف، وقد نحف نحافة، وأنحفة المرض، ومن المجاز فلان نحيف الدين، ونحيف الأمانة، وتقول من كان حنيفا لم يكن نحيفا »[٦] ولم يبين الزمخشرى هنا معنى (حنيفا) لكنه أوضحه فى الكشاف عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] فقال « والحنيف المائل

---

(١) أساس البلاغة (برع).
(٢) لسان العرب (١ / ٦٠ (برع).
(٣) أسا س البلاغة (رحق).
(٤) المصدر نفسه (فرغ).
(٥) لسان العرب ٣ / ١٦٩٢ (رفغ).
(٦) أساس البلاغة (نحف).

إلى ملة الإسلام، غير الزائل عنه»[1] وقلب بعض حروف الجناس - كما لا يخفى - فى تقديم الحاء على النون فى (حنيفا) وتأخير الحاء عن النون فى (نحيفا) ومعنى عبارة الجناس كما يُلمع السياق: من كان متجها إلى الإسلام، متمسكا به، مسلما وجهه إلى الله، لا يكون نحيف الدين، رقيق اليقين.

ومن ذلك ما ذكره من التجانس بين (نجيبة) وهى الدابة المميزة و(جنيبة) وهى التى تقاد بجانبها فقد قال: «وهو يركب نجيبة، ويقود جنيبة»[2].

وقلب بعض الحروف ظاهر فى تقدم النون على الجيم فى الأولى وتقدم الجيم عليها فى الثانية.

ومعنى عبارة الجناس أنه يركب دابة قوية أفضل من الدواب الأخرى، ويقود دابة أخرى تزامل التى يركبها وتجاورها.

ومن هذا النوع ما ذكره من المجانسة بين (مطمعا) و(مطعما) فى قوله: «وتأرض فلان لزم الأرض فلم يبرح، وتقول فلان إن رأى مطعما تعرض، وإن أصاب مطعما تأرض»[3] فقد تقدمت الميم على العين فى مطمعا) وتقدمت العين على الميم فى مطعما.

ومن ذلك ما ذكره من الجناس بين (منعم) من النعيم، و(معنم) أى يشبه العنم، فقد قال: «لها معصم منعم، وبنان معنم»[4] المعصم موضع السوار من اليد[5] يصف تلك المرأة بأنها منعمة، وأثر النعمة باد على معصمها الرخص الممتلىء، وأصابعها تشبه العنم على حد قول المرقش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم[6]

ومنه ما ذكره من المجانسة بين (مكالمة) من الكلام و(ملاكمة) من اللكم، فقد قال: «وتقول رب مكالمة أوقعت فى ملاكمة»[7] المكالمة مبادلة الكلام[8]

(١) الكشاف ٢ / ٣٤٨.
(٢) أساس البلاغة (جنب).
(٣) المصدر نفسه (أرض).
(٤) أساس البلاغة (عنم).
(٥) المعجم الوجيز (عصم).
(٦) الإيضاح / ٥٥ (مع البغية).
(٧) أساس البلاغة (كلم).
(٨) المعجم الوجيز (بكت).

والملاكمة من لاكمه أى لكم كل منهما الآخر، تقدمت اللام على الكاف فى (ملاكمة) وتأخرت عن الكاف فى (مكالمة) ومعنى عبارة الجناس كما لا يخفى رب مناقشة كلامية تحولت إلى تضارب ، وملاكمة بالأيدى، كما قيل إن الحرب أولها كلام.

ومن هذا النوع ما ذكره من التجنيس بين (مبكوتا) أى مغلوبا فى الحجاج و(مكبوتا) أى ملقى على وجهه، فقد قال: «كبت الله عدوك كبه، وأهلكه، وتقول لازال خصمك مبكوتا، وعدوك مكبوتا»[1] تقدمت الباء على الكاف فى (مبكوتا) وتقدمت الكاف على الباء فى (مكبوتا).

ثانياً - ما جاء بين مثنى ومثنى:

وقد ظفرت منه على ما ذكره الزمخشرى من الجناس بين (كفيه) و(فكيه) وذلك فى قوله: «وفك الختام مثل فضه وتقول البخل بين كفيه، والكذب بين فكيه»[2].

وكل من لفظى الجناس مثنى، تقدمت الكاف على الفاء فى (كفيه) وتأخرت عنها فى (فكيه) وفى العبارة - كما هو واضح - وصف لمن قيلت فيه بأنه شحيح ، كذوب، يده مقبوضة، ولسانه مبسوط بالكذب، والسوء.

ثالثاً - ما جاء بين جمع وجمع:

ومن ذلك ما ذكره من التجانس بين (الأحقاف) و(الأقحاف) فى قوله: «ضربه على قحف رأسه، وهو جمجمته، وتقول تلاقوا بالأحقاف فتراموا بالأقحاف»[3].

والأحقاف موطن (عاد) وفى القرآن الكريم - كما هو متعالم - سورة تسمى (الأحقاف) وقد حدد الزمخشرى فى الكشاف هذا الموطن فقال:

---

(١) أساس البلاغة (كبت).
(٢) أساس البلاغة (فكك).
(٣) المصدر نفسه (قحف).

« وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن »[1].

ومن ذلك الضرب ما ذكره من المجانسة بين (الحوائج) جمع حاجة و(الجوائح) جمع جائحة فى قوله : « ونزلت بهم جائحة من الجوائح وتقول رفع الحوائج أشد من نزول الجوائح »[2] فقد تقدمت الحاء على الجيم فى الأول، وتقدمت الجيم عليها فى الثانية، ومعنى العبارة أن طلب الحاجات من الناس أشق على النفس من نزول المصائب.

ومن الجناس الذى فيه قلب بعض الحروف بين جمع، وجمع ما ذكره بين (المعارف) أى الوجوه... و(المراعف) الأنوف، وما حولها، وذلك فى قوله : « ويقال للقوم إذا تلثموا غطوا معارفهم.. وتقول بنو فلان غرّ المعارف، شمّ المراعف، وامرأة حسنة المعارف - وهى الأنف وما والاه وقيل الوجه كله »[3] الذى يبدو أن فى تلك العبارة وصفا للممدوحين بأنهم شم الأنوف، بيض الوجوه، وقد وجدت فى القاموس المحيط ما يؤكد ذلك المعنى، ويعضده، فقد جاء فيه « وامرأة » حسنة المعارف أى الوجه وما يظهر منها... وحيا الله المعارف أى الوجوه[4] وفيه أيضاً « والمراعف الأنف وحواليه »[5].

وقلب الحروف باد بين (المراعف) و(المعارف) فى أن الراء تقدمت على العين فى إحداهما، وتأخرت عن العين فى الأخرى. ومن ذلك ما ذكره من المجانسة بين (الرغائب) وهى نفائس الأموال، و(الغرائب) ما غمض من الكلام، وهذا فى قوله : « وإنه لوهوب للرغائب، وهى نفائس الأموال التى يرغب فيها الواحدة رغيبة، وتقول فلان يفيد الغرائب، ويفىء الرغائب »[6] وقد أوفى صاحب أساس البلاغة (الرغائب) بيانا، أما (الغرائب) فمعناها كما فى (المعجم الوجيز) ما غمض، وبعد عن الفهم[7].

---

(١) الكشاف ٣ / ٤٤٨ .
(٢) أساس البلاغة (جوح).
(٣) أساس البلاغة (عرف).
(٤) القاموس المحيط.
(٥) نفسه.
(٦) أساس البلاغة (رغب).
(٧) المعجم الوجيز (غرب).

ومن هذا الضرب ما ذكره فى قوله: الناس أجناس، وأكثرهم أنجاس»[1] والجناس – كما لا يخفى – بين أجناس، وأنجاس.

رابعاً – ما جاء بين فعل وفعل:

ومن الجناس الذى فيه قلب بعض الحروف بين فعل، وفعل، ما ذكره بين (كند) أى كفر بالنعمة، و(نكد) أى منع، وجاء ذلك فى قوله الزمخشرى «وكند النعمة كفرها... وتقول فلان إن سألته نكد، وإن أعطيته كند»[2] وقد وَكّدَ الزمخشرى معنى الفعل (كند) عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ [العاديات: ٦]. فقال: «الكنود الكفور وكند النعمة كنودا... يعنى أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران...»[3] ولكنه لم يعرض فى موضع هذا الجناس لمعنى الفعل (نكد) وقد بحثت عن معناه فى لسان العرب، فوجدت فيه «ونكده حاجته منعه إياه»[4] ويكون معنى عبارة الجناس فلان إن سألته، منع، وإن أعطيته كفر نعمتك، فهو مناع للخير، كفور للنعم.

ولا يخفى أن فى الفعلين قلبا لبعض الحروف فالفعل (كند) تقدمت فيها الكاف على النون، وفى (نكد) تقدمت النون على الكاف.

ومن ذلك ما ذكره من المجانسة بين الفعل (ينضيه) أى يهزله، و(يضنيه) أى يديم مرضه، فقد قال: «وتقول هو بين سفر ينضيه، ومرض يضنيه»[5] يقال أنضى الدابة هزلها وأتعبها[6]، ويقال: وهو ضَنٍ أى به داء مخامر كلما ظن أنه برىء نكس[7] وقلب بعض الحروف ظاهر بين الفعلين، ومعنى العبارة هو بين سفر يجعله هزيلا، ومرض يلازمه.

---

(١) أساس البلاغة (جنس).
(٢) أساس البلاغة (كند).
(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٩.
(٤) لسان العرب ٦/ ٤٥٣٨ (نكد).
(٥) أساس البلاغة (ضنى).
(٦) المعجم الوجيز (نضو).
(٧) أساس البلاغة (ضنى).

ومن هذا النوع أيضاً ما ذكره من التجانس بين الفعل (تتفلت) و(تتلفت) فى قوله: «وأراه يتفلت إليك، وإلى صحبتك إذا نازع إليه، وتقول لا أرى لك أن تتفلت من هذا الأمر، ولا أن تتلفت إليه»[1].

ففى الفعل الأول تقدمت الفاء على اللام، وفى الثانى تقدمت اللام على الفاء.

ومن ذلك ما أورده من التجنيس بين الفعلين (تعقرب) أى تلوى كالعقرب و(تعرقب) أخلف وعده كعرقوب، فقد قال: «عرقب الدابة قطع عرقوبها... وهو أكذب من عرقوب يثرب، وتقول فلان إذا مطل تعقرب، وإذا وعد تعرقب»[2] ففى الفعل (تعقرب) تقدمت القاف على الراء، وفى (تعرقب) تقدمت الراء على القاف، ومعنى العبارة - كما هو واضح - فلان إذا مطل، وتأخر، أعطى مواعيد ملتوية، وإذا وعد أخلف وعده كعرقوب يثرب الذى يضرب به المثل، فى الخلف، والعرب تقول أخلف من عرقوب، وهو رجل «من ساكنة يثرب، وعد رجلا ثمرة نخلة فجاء الرجل حين أطلعت، فقال دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت، قال دعها حتى تصير زهوا ، فلما أزهت، قال دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت، قال دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت، عمد إليها من الليل فجزها، ولم يعطه شيئاً منها، فصار مثلا فى الخلف، قال كعب بن زهير يتمثل:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال الأشجعى:

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب[3]».

---

(١) أساس البلاغة (فلت). (٢) المصدر نفسه (عرقب).

(٣) سوائر الأمثال على أفعل تأليف حمزة بن الحسن الأصفهانى ت د/ فهمى سعد - عالم الكتب بيروت ط أولى ١٤٠٩هـ.

جناس مقلوب مزدوج

عثرت على نماذج من الجناس المقلوب المزدوج، بعضها دون فاصل بين المتجانسين، وبعضها مفصول بحرف:

فالمقلوب دون فاصل كما ذكره بين (المباكرة)، و(المباركة) فى قوله: «وباكره بكر إليه، وتقول المباكرة مباركة»[1] المباكرة الخروج أول النهار قبل شروق الشمس[2] ويقصد منها المباكرة إلى العمل، والسعى فى طلب الرزق، وهذا معنى قولهم البركة فى البكور، وظاهر أن فى هذا قلبا لبعض الحروف.

وعلى هذه الوتيرة ما أشار إليه من الجناس بين (مكلب) و(مكبل) فى قوله: «فلان مكلب، مكبل مأسور بالكلب وهو القد، مقيد بالكبل، وهو القيد وفى ساقيه كبل وكبول»[3] والمتجانسان فى هذه العبارة متجاوران لا يفصل بينهما فاصل.

والمقلوب المزدوج المفصول بحرف، كما ألمح إليه بين (رغيف) و(غريف) فى قوله: «تقول همته فى رغيف، وغريف، وهو ما يغرف من البرمة»[4] فصل بين ركنى الجناس بواو العطف، و(البرمة) القدر من الحجارة[5] ومعنى عبارة الجناس أن هذا المتحدث عنه لاهمة له إلا فى توافه الأمور.

ومثل ذلك ما أورده بين (السفالة) و(الفسالة) فى قوله: «هو من أهل السفالة والفسالة، وهى الضعف، والعجز، وكل مسترذل ردىء فهو فسل عندهم»[6] والإنسان الفسل هو الرذل النذل الذى لا مروءة له، ولا جلد والسفالة هى الانحطاط ضد العلو[7]

---

(١) أساس البلاغة (بكر).
(٢) المعجم الوحير (بكر).
(٣) أساس البلاغة (كبل).
(٤) المصدر نفسه (رغف).
(٥) المعجم الوجيز (برم).
(٦) أساس البلاغة (فسل).
(٧) المعجم الوجيز (سفل).